

شعر الخليعيّ في أهل البيت عليهم السلام

دراسة في الموضوع والفن

أ.د. عدنان كاظم مهدي

جامعة الكوفة/كلية الآداب

أ.د. صادق فوزي دبّاس

جامعة الكوفة/كلية التربية الأساسية

Al-Khali'ia's Poetry in Ahl al-Bayt (PBUH)

A Study in the Subject and Art

Prof. Dr. Adnan Kadhem Mahdi

University of Kufa/College of Arts

Prof. Dr. Sadeq Farwzy Dabbas

University of Kufa/College of Basic Education

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد خير الخلق أجمعين، وعلى أهل بيته الأطهار الميامين.

وبعد...

يتناول هذا البحث شاعراً مهماً من شعراء الحلة في القرن السابع الهجري، وهو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن أبي محمد الخليعي الموصلي الحلي المتوفى سنة ٦٥٠ هـ، وهو شاعر عُرِفَ بصلافة موقفه العقائدي، وانتمائه لأهل البيت عليه السلام، وقد أوقف شعره كله في رثائهم وتعداد فضائلهم وكراماتهم، ولا سيما أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أسهب كثيراً في تصوير مأساة كربلاء وواقعة الطف بأسلوب شجي مؤثر، وبنفس ملحمي ومنهج سردي يعتمد على سرد الوقائع والأحداث، فكان يصور الواقعة تصويراً مأساوياً مفعماً بالألم والحسرة؛ وكأنها تجري للتو أمام أعيننا.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على النسخة التي حققها الدكتور سعد الحداد، واقتضت طبيعة البحث دراسة الموضوع في مقدمة ومبحثين، الأول يعني بدراسة الموضوعات التي تحدّث فيها عن أهل البيت عليه السلام، ويضمُّ هذا المبحث فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وتصوير واقعة الطف بما تحويه من مواقف عديدة لسيد الشهداء عليه السلام، والعقيلة زينب عليها السلام، والإمام السجاد عليه السلام، وما جرى لهما من أحداث بعد السبي. أمّا المبحث الثاني فيتضمّن دراسة فنية لشعر الخليعي في أهل البيت عليه السلام، ودراسة أهمّ

شعر الخليعي في أهل البيت عليهم السلام
دراسة في الموضوع والفن

الأساليب الواردة فيه، كالأسلوب الخطابي، والسرد الشعري. وقد اعتمدنا في البحث
منهجاً تحليلياً يقوم على الاستقراء والتتبع.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، إنّه نعم المولى ونعم النصير.



Abstract

In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, and prayers and peace be upon Muhammad, the best of all creation, and upon his pure and faithful family, and after:

This research deals with an important poet of Al-Hilla in the seventh century AH, who is Abu Al-Hasan Ali bin Abdul Aziz bin Abi Muhammad Al-Khali'i Al-Mawsili Al-Hilli, who died in the year 650 AH. He was known for his solid ideological position and his affiliation with the Ahl al-Bayt (PBUT). He paused all his poetry in lamenting them and enumerating their virtues and dignity, and in particular the Commander of the Faithful (PBUH). He elaborated a great deal in depicting the tragedy of Karbala and the incident of Tuff in a melodious, touching, and epic style, and a narrative method that relies on narrating the facts and events. He depicted the incident in a tragic way full of pain and sorrow. As if it was just happening right in front of our eyes.

In our study, we have relied on the version achieved by Dr. Saad Al-Haddad. The nature of the research necessitated the

study of the subject in an introduction and two chapters. The first is concerned with studying the topics in which he spoke about Ahl al-Bayt (PBUT). This topic includes the virtues of the Commander of the Faithful (PBUH) and depicts the incident of al-Tuff with its many positions of the Master of the Martyrs (PBUH) and Aqila Zainab (PBUH) and Imam al-Sajjad (peace be upon him) and what happened to them after the captivity. As for the second topic, it includes a technical study of Al-Khali'i's poetry in Ahl al-Bayt (PBUT) and a study of the most important methods contained in it, such as the rhetorical style and poetic narration. In the research, we have adopted an analytical approach based on induction and tracking.

And our last prayer is that praise be to God, Lord of the worlds, for He is the best Lord and the best helper.

المبحث الأول

المضامين

هذا الشاعر المتعطّش لمحبة أهل البيت عليهم السلام، كان يتوسّل بكلّ ما أوتي في سبيل الكشف عن فضائل أهل البيت، وبيان مظلوميّتهم، والتعريف بفضلهم، وإزاحة الستار عن أحقيّتهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو لم يأل جهداً في بيان ذلك، مسخراً إمكاناته الشعرية وقدراته الفنيّة في سبيل ذلك. وفي هذا المبحث سنتناول موضوعين، هما فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وواقعة الطفّ.

فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

يقول الخليعيّ مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام متوجّهاً إليه بالتحية والإعظام^(١):

مولاي يا جنب الإله وعينه

يا ذا المناقب والمراتب والعلی

وخضوعها لك في الخطاب وقولها

يا قادراً يا قاهراً يا أولاً

وبعد هذه التحية، يسترسل الشاعر في خطاب الإمام، ويدخل مدخلاً جميلاً في

بيان فضائله، فيقول:

(١) الديوان: ٤٠.

وكلام أصحاب الرقيم وردهم
منك السلام وما استنار وما انجلى
وحديث سلمان ونصرته على
أسد الفرات وعلم ما قد أشكلا
لا يستقر ذوو النهى ويقل من
أن يرتضي ويجلُّ من أن يذهلا
وهنا يبدأ في تعداد تلك الفضائل، ومنها تكليمه لأصحاب الرقيم، وقصة
سلمان رضي الله عنه والأسد على نهر الفرات^(١).
ومن ثمَّ ينتقل الشاعر لتوكيد مكانة الإمام عليه السلام عند الله، من أن الله تعالى قد نصَّبه وليًّا
على المسلمين، وقد أخذ العهود منهم لهذا الأمر، فيقول^(٢):

أَخَذَ الْإِلَهُ لَكَ الْعُهُودَ عَلَى الْوَرَى فِي الذَّرِّ لَمَّا أَنْ بَرَا وَبِكَ ابْتَلَى
فِي يَوْمٍ قَالَ لَهُمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَعَلِيٌّ مَوْلَاكُمْ مَعًا؟ قَالُوا: بَلَى
وكان الشاعر يستدعي شخصية الإمام عليه السلام، ويُجري خطابًا على لسانه، فيقول^(٣):
فَأَنَا مَسْتُودِعُ الْأَسْ—
رَرَارِ وَالْغَيْبِ الْمَصُونِ—
وَأَنَا الْهَادِي إِلَى سَبْ—
لِ الْهَدَى فَاتَّبِعُونِي—
وَأَنَا الْوَارِثُ عِلْمِ الْ—
مِصْطَفَى، فَاسْتَبِقُونِي—

(١) الديوان: ٤٠.

(٢) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٠.

(٣) الديوان: ٦٧.

فاسألوا التوراة والأنبـ

ـ جيل عنّي تجدونـ

واطلبوا في حكم القرـ

آن وصفي تعرفوني

ويزيد الشاعر من الأدلة الواضحة في بيان فضائله، من إشارته إلى حادثة مباهلة وفد نصارى نجران، فيقول^(١):

وأنا الحجّة في الخـ

ـ ق إذا هم باهلوني

وهنا الشاعر يحاجج الآخرين في أفضليّة الإمام ومكانته، من خلال ما جاء من ذكره في التوراة والإنجيل، وهذا دليل على أن مكانته معروفة عند أصحاب أهل الكتاب قبل المسلمين، وإن دلّ هذا على شيء، فإنّنا يدلّ على أن الإمام له امتداد واسع في النصوص المقدّسة، وتاريخ قديم في الإمامة والتكليف ما بعد النبوّة، ما يجعله على قدر مواز في الإبان بعد الرسول، ومن ثمّ يقرن هذا كلّه بتأكيد استمراريّة هذا الامتداد النورانيّ الإيمانيّ الوجوديّ للإمام من خلال النصّ القرآنيّ، لذا يطلب من أصحاب العقول النيرة أن يبحثوا عن وصفه في القرآن، ويستدلّ على هذا الوصف بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)، فيقول^(٣):

وإلى علمي أشار اللـ

ـ ه ذو العرش المكين

(١) الديوان: ٦٧-٦٨.

(٢) سورة يس: ١٢.

(٣) الديوان: ٦٧-٦٨.

حيث أحصى كل شيء

في إمام مبين

ويشير الشاعر إلى المكانة الأخروية للإمام علي عليه السلام من خلال الأحاديث المروية التي تحدّثت عن كونه الذائد عن حوض يوم القيامة، كما جاء في الحديث الشريف، إذ يقول الرسول له مخاطباً: «إنك الذائد عن حوضي يوم القيامة، تذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الضال عن الماء، يعطى لك قضيب من عوسج، كأني انظر إلى مقامك من حوضي»^(١)، وأنه قسيم الجنة والنار^(٢)، فيقول متحدّثاً على لسان الإمام عليه السلام^(٣):

وأنا القاضي بأمر اللّـ

ه ربّي فاعرفوني

وأذودُ الحوض قوماً

أجمعوا أن ينكروني

وأنا القاسم للنبي

ران قوماً أنكروني

ويذكر الشاعر بطرفٍ خفيّ الحديث النبويّ المرويّ عن الرسول، وهو قوله: «إني

تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٤)، فيقول^(٥):

يوم قالوا احفظوا مقالي ولا تر

موه جهلاً منكم برجم الظنون

(١) مناقب الخوارزمي: ٦٠.

(٢) ينظر: الفائق في غريب الحديث: ٣/ ٩٧، وشرح نهج البلاغة: ٢/ ٢٦٠ و٩/ ١٦٥.

(٣) الديوان: ٦٩.

(٤) الغدير، الشيخ الأمين: ١٠/ ٢٧٨.

(٥) الديوان: ٩١-٩٢.

إنني قد تركت فيكم كتاب اللد

فاستمسكوا به واسمعوني

فهو نور وعترتي أهل بيتي

فانظروا كيف فيها تخلفوني

ومن الفضائل الأخرى التي أشار إليها الخليعي، قصة ردّ الشمس للإمام في أثناء

عودته من إحدى غزواته، وقد فاتته صلاة العصر^(١)، فيقول^(٢):

وردُّك الشمس بعد الغروب ونش

ر الميت لو علموا معلوم عنوان

ومأ يتَّصل بفضائل الأمام عليه السلام بيعة يوم الغدير، فقد أشار في مواضع عدّة من ديوانه

إلى هذا العظيم، فهو من أهم أعياد الشيعة، فيقول^(٣):

حبّذا يوم الغدير

يوم عيد وسرور

إذا أقام المصطفى من

بعده خير أمير

قائلاً هذا وصيي

في مغربي وحضوري

وظهيري ونصيري

ووزيري ونظيري

(١) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٦ / ٨٥.

(٢) الديوان: ١١٨.

(٣) الديوان: ٦٢.

وهو الحاكم بعدي
بالكتاب المستنير
ويسرد لنا الخليعي بأسلوب قصصي تفاصيل واقعة الغدير، فيقول^(١):
مأ روته الثقة في صحّة النّق
ل وما أسندوا إلى عمر
قد رقى المصطفى بخمّ على الـ
أقتاب لا بالواني ولا الحصر
إذا عاد من حجّة الوادع إلى
منزله وهي آخر السّفـر
وقال يا قوم إنّ ربّي قد
عاودني وحيه على خطر
إن لم أبلّغ ما قد أمرتُ به
وكنّت من خلفكم على حذر
وقال: إن لم تفعل محوتك من
حكم النّبیین فاخش واعتبر
إن خفت من كيدهم عصمتك فاس
تبشر فإنّي لخير منتصر

وفي هذا السرد القصصي نجد توكيداً للشاعر في بيان حقيقة مهمّة، وهي أنّ النبي كان يواجه صعوبة ومشقّة في إعلان البيعة للإمام عليه السلام من قبل المنافقين، وكان يخشى ردّة فعلهم؛ ولذا جاء الدعم الإلهي للرسول للجهر والتصريح

(١) الديوان: ١٣٣.

على الملأ بالبيعة^(١):

ثُمَّ تَلَا آيَةَ الْبَلَاغِ لَهُمْ
وَالسَّمْعَ يَعْنُو لَهَا مَعَ الْبَصْرِ
وَقَالَ: قَدْ آنَ أَنْ أُجِيبَ إِلَى
دَاعِي الْمَنِيَا وَقَدْ مَضَى عَمْرِي
أَلَسْتُ أَوْلَى مِنْكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ؟
قَلْنَا بَلَى فَاقْضِ حَاكِمًا وَمُرِيرًا
فَقَالَ النَّاسُ مَحْدِقُونَ بِهِ
مَا بَيْنَ مَصْغٍ وَبَيْنَ مُنْتَظَرٍ
مَنْ كُنْتُ مَوْلَى لَهُ فَحِيدِرَةٌ
مَوْلَاهُ يَقْفُو بِهِ عَلَى أَثْرِي
يَا رَبُّ فَاَنْصُرْ مَنْ كَانَ نَاصِرَهُ
وَإِخْذْ لِعَدَاؤِهِ كَخِذْلٍ مُقْتَدِرٍ
فَقَمْتُ لِمَا عَرَفْتُ مَوْضِعَهُ
مَنْ رَبُّهُ وَهُوَ خَيْرَةُ الْخَيْرِ

وهنا الشاعر يشير إلى قوله تعالى في آية التبليغ وهي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ
بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، فهذا التحذير الشديد للرسول يبيّن مدى أهمية هذا التبليغ
للمسلمين، فبدونه لا تتم الرسالة المحمّديّة، وأنّ الرسول يخاطب المسلمين بقوله:

(١) الديوان: ١٣٤.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

«ألستم تعلمون أنّي أولى من المؤمنين بأنفسهم؟»^(١)، وما دام الأمر هكذا، فلا بدّ من أن يُطاع هذا الأمر، وقد خيّر الرسول المؤمنين بين أتباع وصيّهِ أمير المؤمنين عليه السلام أو خذلانه، ومن يخذله فهو الخاسر.

وبعد سرد هذه الرواية، يستنكر الشاعر من ينكر هذه الرواية، ويعاند في أمر الولاية، فيقول^(٢):

فليت شعري يا من يجادلني
في أمره وهو غير ذي نظرٍ
هل كان منهم ذاك الكلام رياءً
إذ لم تمكّنهمو يد القدرِ؟
أم عدل الرسول عن الـ
حقّ وولّاهمّو على الغدرِ
أم أحدث المرتضى بهم بدعاً
فغيّرتهم عنه يد الغيرِ
أم غلّ الصدور أعقبهم
كُفراً فأمضى بهم إلى سقرِ
فالشاعر يصل إلى نتيجة مفادها أنّ الحقد والضغينة قد أعمى قلوب هؤلاء المعاندين.

(١) سنن ابن ماجه: ٤٣/١، أنساب الأشراف، البلاذري: ٣٥٦/٢.

(٢) الديوان: ١٣٥.

واقعة الطفّ

وقد شغلت واقعة الطفّ حيزًا كبيرًا في شعر الخليعيّ، وتمثّل جزءًا مهمًّا من وفاء الشاعر لأهل البيت عليهم السلام، فهذه الواقعة الأليمة تركت أثرها في فكره وحسّه؛ ولذا كانت حاضرة في ذهنه وقلبه في كلّ وقت، وبالخصوص العقيلة زينب عليها السلام، فهذه المرأة قدّر لها أن تنهض بأعباء الثورة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وأن تتحمّل كلّ المصائب والفواجع بعزم وثباتٍ، وأن تلمّ شتات ما تبقيّ من أهل البيت؛ لذا شغلت مكانةً مهمةً في أدب الطفّ، وهو لا ينسى المصائب التي جرت على العقيلة، فيخاطبها قائلاً^(١):

لستُ أنسى زينبًا ذا
تَ عويلٍ وانتحابٍ
تلطمُ الخدَّ وتبكي
للرّزّياتِ الصّعبِ
وتُنادي يا أخي لي
تَ الرّدىّ كان بداي
يا أخي يا واحدٍ ما
كان هذا في حسابي

والشاعر يتمنّى الموت قبل أن يرى زينب في هذا الموقف^(٢):

وابكٍ على زينب تنادي
وا طولَ حزني ويا زفيري

(١) الديوان: ٨٠.

(٢) الديوان: ١٠١.



ياليتني متُّ قبل هذا
وليتني كنت في الحفير
وينقل لنا الشاعر مناجاة زينب لأبيها وجدها^(١):
ثمَّ تنادي إلى أبيها
وجدها المصطفى البشير
يا جدُّ ما كان ذا جزاكمُ
من عصبية الكفرِ والفجورِ
قد قابلونا بيومٍ بدرٍ
وأبـردوا غلَّةَ الصدورِ
وفي وصفه لواقعة الطفِّ، يسرد لنا وصية الإمام الحسين عليه السلام
لزينب^(٢):

ومضى يقصد الخيام ودمع الـ
عين منه كاللؤلؤء المكنونِ
فاسترابت لذاك زينب فارتا
عت وقالت له بخفضٍ ولينِ
سيدي ما الذي دهاكُ أبني لي
يا ابن أمِّي وناصري ومعيني
قال يا أختُ إنَّ قومي وأهلي
قد تفانوا قتلاً وقد أوحدني

(١) الديوان: ١٠١-١٠٢.

(٢) الديوان: ٩٣.

فاسمعي ما أقول يا خيرة النَّسِّ
—وان فيما أوصي به واحفظيني
لا تُشُقِّي جيبًا ولا تلطم
سي خدًّا وإن عزك العزا فانديني
واخلفيني على بناتي وأوصي
ك بزين العباد فهو أمني
واعلمي أنّ جدك المصطفى وال
مرتضى والبتول ينتظروني

أما الامام السجاد عليه السلام فالصورة التي نقلها إلينا الشاعر صورة مؤلمة له وهي تصور
مأساة الأسر والمعاناة والقسوة التي مارسها بحقه أعوان يزيد بها^(١):

وابك الأسير العليل يكبو
في القيد من شدة العناء
وهو يتحسّر ويتألّم لمنظر الإمام السجاد، وهو يُضرب ويهان^(٢):
بنفسي السيّد السجّاد يبلى؟
ويشكو ثقل قيد واضطرابٍ
إذا ما أن من ألمٍ وضرٍ
يُجابُّ بقُبْحٍ شتمٍ أو سبابٍ

وعلى الرغم من ثقل المصيبة وفداحتها، فإنّ الامام السجاد عليه السلام يواسي عمته زينب
ويدعوها أن تصبر^(٣):

(١) الديوان: ١٠٨.

(٢) الديوان: ٩٨.

(٣) الديوان: ١٨٢.

والسيّد السجّاد يدعوها ألا اصـ
طّبري فأت كلّها هو آت
كفّي الدموع وراقبي ربّ العلى
فعليك منه أفضل الصلوات
وتيقّني أنّ الشهيد مخلّد
لا تحسبه يُعدُّ في الأموات
واستبشري يا عمّتي فلك الهنا
بقيام دولةٍ آخذ الثّارات
القائم المهدّي والمولى الذي
يستأصل الأعداء بالنقّات



المبحث الثاني

ظواهر فنيّة

هناك ظواهر فنيّة عدّة وردت في شعر الذي قاله الخليعيّ بحق أهل البيت، منها التكرار وأسلوب الخطاب والسرّد. ولعلّ ظاهرة السرّد من الأكثر الظواهر الفنيّة ورودًا في شعره.

والسرّد يعني «هو قصُّ حادثة واحدة أو أكثر، خيالية أو حقيقية»^(١).

وهذا يعني أن «السّرّد لا يوجد إلاّ بواسطة الحكاية، كما أنه عرض لتسلسل الأحداث أو الأفعال في النص»^(٢)، وهو يعني وجود عنصرين رئيسين في النصّ: الأوّل: الراوي (السارد)، والثاني: الحدث (الفعل)، و«تقدّمه شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعًا، ويقال: سرّد الحديث ونحوه، يسرّده سرّدًا: إذا تابعه، وفلان يسرّد الحديث سرّدًا: إذا كان جيد السياق له. والسرّد الخرز في الأديم، وقيل سردها: نسجها، وهو تداخل الخلق بعضها في بعض، وسرّد خفّ البعير سرّدًا: خصفه بالقد قيل: ألاّ يجعل المسمار غليظًا، والثقب دقيقًا، فيفصم الخلق، ولا يجعل المسمار دقيقًا، والثقب واسعًا، فيتقلقل أو ينخلع، أو ينقصف، اجعله على القصد وقلّ الحاجة»^(٣). ونلمح من هذا التعريف المعجمي سمات يقوم السّرّد بإبرازها، وهي الاتّساق والتتابع

(١) معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، محمّد عناني: ٥٩.

(٢) خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جينت: ٤٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة (سرّد).

والإحكام. وفي العصر الحديث نجد تعريفاً للسرد - لا يكادُ يتعد كثيراً عن التعريفات التراثية - مثل تعريف (الرافعي)؛ حيث قال عن السرد: إنه «متابعة الكلام على الولاء والاستعجال به، وقد يراد به أيضاً جودة سياق الحديث، وكأنه من الأضداد»^(١). وقد يكون السرد شكلاً لغوياً معبراً، يقوم بـ«نقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية»^(٢).

والسرد عند الخليعي يتضح من خلال تصويره لواقعة الطف، فكان دقيقاً في ذكر الجزئيات، ويميل إلى الحوار والتحدث على لسان الشخصيات، ومن ذلك قوله^(٣):

ولم أنس مولاي الحسين وقد غدا
يودع أهليه ويوصي ويعجل
ينادي ألا يا أهل بيت محمد
أصيخوا لما أوصيكم وتقبلوا
عليكم بتقوى الله لا تتغيروا
لعظم رزياكم ولا تتبدلوا
ودموا على أعمالكم وابتها لكم
وقوموا إذا جن الدجى وتنفلوا
وفاطمة الصغرى تقول لأختها
هلمّي إلى التوديع فالأمر مهول
أرى والسدي يوصي بنا أخواته
وعيناه من حزن تفيض وتهمل

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ٢٩٧.

(٢) الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: ١٨٧.

(٣) الديوان: ١٨٥-١٨٧.

وتدعوا أيا سيّدي بلغ العدى
بنا ما تمنوا في النفوس وأملوا
ومر إلى حرب الطغاة ولم يزل
يفلق هامات العدى ويفلل
إلى أن هوى فوق التراب مجدّلاً
قتيلاً وراح المهر ينعى ويعول
فقمّن النساء الفاطميّات وُلّها
فأبصرن منه ما يسوء ويذهل
وخرت عليه زينب مستغيثة
ومعجزها من نحره متبلّل

وفيما يخصّ التكرار، فإنّه في الشعر من أهمّ البواعث النفسية التي يعتمدها الشاعر في إثارة السامع عن طريق موسيقى الألفاظ المكرّرة، أو تكرير بعض الحروف؛ لما تمتلكه من جرس موسيقيّ إيجائيّ.

وفي هذا النوع من التكرار يلجأ الشاعر إلى «تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغماً موسيقيّاً يتقصده الناظم في شعره»^(١). ولتكرار الألفاظ مواضع يحسن فيها وأخرى يقبح فيها، والتكرار في الألفاظ هو الأكثر وروداً في العربية دون المعاني^(٢)، والشاعر يكرّر بعض الألفاظ التي تثير في نفسه تشوقاً واستعداداً؛ ولذلك يعمد إلى تكرارها^(٣). وهذا الأسلوب استخدمه الشعراء الجاهليّون والإسلاميون والأمويّون

(١) جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغيّ والتقدّيّ عند العرب، د. ماهر مهدي هلال: ٢٣٩.

(٢) ينظر: العمدة: ٧٣/٢.

(٣) ينظر: جرس الألفاظ: ٢٣٩.

فكانوا يكرّرون أسماء الأشخاص أو المواضع؛ لإشاعة لون عاطفي يقوّي الصورة التي عليها بنية القصيدة^(١)، وكان الخليعي يكرّر الألفاظ التي تثير الحزن والشجن والأسى، ممّا يثير عواطف المتلقّي، فيقول^(٢):

لقتيل أبكى النبي وأذكى
حُرق الحزن في فؤاد البتول
لقتيل بكت عليه السماوا
ت وأملاكها بدمع همول
لقتيل عزّى به جدّه وهـ
ـو ربيب على يدي جبريل
ومن التكرار نشعر بمدى الحرقّة والتوجّع في نفس الشاعر، فيقول^(٣):
لهف نفسي لسبي فاطمة الصغ
ـرى ولهفي لقلبها المرعوب
لهف نفسي على سكينه من خو
ف الأعداي تبكي بدمع صيب
لهف نفسي لأم كلثوم من سل
ـب نقاب ومعجز منهوب

ومن الظواهر الفنية الأخرى الخطاب، وهو يُطلَق في اللغة العربية على: «مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطابًا، وهما

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب: ٢/٧٣-٧٥.

(٢) الديوان: ١٥٨.

(٣) الديوان: ١٦٦.

يتخاطبان»^(١). أما المعجم الوسيط، فلا يشير إلى تطوّر هذه الكلمة في العربيّة المعاصرة، وإنّما يكتفي بتفسير الخطاب بالكلام دون تقييد نوع الكلام، والخطاب بمعنى الرسالة^(٢). ويظهر من المعنى اللغويّ لـ (الخطاب) اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورّة، ويضاف إلى ذلك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة، وكأنّ (التواصل) في مفهوم هذه الكلمة أمر أساسي في تحقّق معناها. و (الخطاب) من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه ويُراد به «توجيه الكلام نحو الغير للإفهام»، كما تتردّد في كتب أصول الفقه مصطلحات: دليل الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب.

وتأخذ كلمة (خطاب) عند المحدثين أبعادًا دلاليّة أخرى تصل أحيانًا إلى حدّ الإلباس.

ويشير مفهوم الخطاب، عند الغربيّين إلى شموليّته واتّساعه، فهو يكشف عن الرغبة الحقيقيّة في الصراعات السياسيّة، ومحاوله فرض السيطرة والاستيلاء والهيمنة على الطرف الآخر^(٣)، حيث تدخل فيه جميع العلامات الكلاميّة وغير الكلاميّة، وآية ممارسة رسميّة أو آية تقنيّة يتحقّق فيها وعبرها الإنتاج الاجتماعيّ للمعنى^(٤).

ومّا تقدّم، نجد أنّ الخطاب يختلف ويتنوّع، فربّما يكون سياسياً أو اجتماعياً أو أدبيّاً أو دعويّاً، وهو يرتبط بالطرف الآخر المخاطب والظروف النفسيّة والاجتماعيّة المرافقة للنصّ الخطابيّ. ولا ريب أنّ الخطاب كي يتمّ توصيله للطرف المقابل، ويؤدّي الوظيفة المتبتغة، والمهمّة المناطة، به فلا بدّ من اعتماد أساليب محدّدة يتمّ عن طريقها

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (خطب)

(٢) ينظر: المعجم الوسيط: مادة: (خطب)، معجم اللغة العربيّة المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٢٤٦.

(٣) ينظر: مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل: ٦٧ - ٧٠.

(٤) ينظر: نظام الخطاب، ميشيل فوكو: ٩.

شعر الخليعي في أهل البيت عليهم السلام
دراسة في الموضوع والفن

الإبلاغ والإقناع والتوصيل، وهذه الأساليب منها ما يتخذ البيان ووسائله، ومنها ما يتخذ الوسائل العقلية المعتمدة على الحجاج والمجادلة.

وكان الخليعي يتخذ من الخطاب وسيلة في إيصال رسالته الفنية في ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وإقامة الحجّة على خصومهم، فيقول^(١):

أنتم الأمرون للناس بالتق
سوى وأهل التنزيل والتأويل
حكمكم في العباد ماض فهم بي
من ضلال مُرْدٍ وظل ظليل
فاقسموني إذا قسمتم نعيها
وجحيماً على ثوابٍ جزيل



(١) الديوان: ١٦٤

الخاتمة

من خلال ما تقدّم وجدنا بعض النتائج المهمّة، منها:

١. إنَّ شعر الخليعيّ يجري على سنن القدماء في المضامين والأفكار والأساليب والتعبير.
٢. إنَّ السمة الغالبة على شعر الخليعيّ وصف الأحداث وتصوير المواقف، ممّا جعل شعره يقترب أحياناً من التقريرية.
٣. كان الخليعي يوظّف القرآن والأحاديث النبوية في توضيح أفكاره، وإثبات أدلّته، والدفاع عن أحقيّة أهل البيت.
٤. أظهرت الدراسة ثقافة شعر الشاعر الدينية بشكلٍ واضح، على الرغم من أنّ الشاعر لم يكن من طلاب العلم.
٥. كشف شعره عن جوانب مهمّة من السمات التي اتّسم بها الشعر الحليّ في تلك المدّة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الأدب وفنونه، د. عزّ الدين إسماعيل، دار الفكر العربيّ، ط٦، د.ت.
٢. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ (من أعلام القرن الثالث الهجريّ)، حقّقه وعلّق عليه الشيخ محمّد باقر المحموديّ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
٣. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١هـ.
٤. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٤م.
٥. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغيّ والنقديّ عند العرب، د. ماهر مهدي هلال.
٦. خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيران جينت، ترجمة محمد عبد الجليل الأزديّ وعمر حلمي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م.
٧. ديوان الخليعيّ، أبي الحسن عليّ بن العزيز بن أبي محمّد الخليعيّ الموصليّ الحليّ، تحقيق د. سعد الحدّاد، مطبعة دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠١٠م.

٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٣٧٢هـ.
٩. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت.
١٠. العمدة، ابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين، دار الجيل، لبنان، ط ١، ١٩٧٢م.
١١. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني (ت ١٣٩٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٧م.
١٢. الفائق في غريب الحديث، الزمخشري (ت ٥٨٣هـ)، عيسى البابي، مصر، ١٩٤٧م.
١٣. لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار المعارف، د.ت.
١٤. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيّب المجذوب.
١٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٦. معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، ط ٣، ٢٠٠٣م.
١٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، مكتبة الشروق، ط ٤، ١٤٢٥هـ.
١٨. مقدّمة في نظريات الخطاب، ديان مكدونيل، ترجمة د. عزّ الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، الطبعة العربية الأولى، ٢٠٠١م.

١٩. مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب
(ت ٥٨٨هـ)، المطبعة العلمية، قم، د.ت.

٢٠. مناقب علي بن أبي طالب، الخوارزمي (ت ٥٨٦هـ)، مطبعة الحيدرية، النجف،
١٣٨٥هـ.

٢١. نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة د. محمد سيلا، نشر دار التنوير
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دار الفاربي، بيروت، لبنان،
٢٠٠٧م.

